

التفسير المختصر - سورة الأنبياء (٢١) - الدرس (٣-٤-٥) : تفسير الآيات
٣٣-٣١-٣٠-٢٥ التوحيد .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-٠٥-١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلُنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

أيها الأخوة الكرام، الآية الثالثة والعشرون من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآءِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّا فَاعْبُدُونَ (٢٥)﴾

[سورة الأنبياء]

ما إعراب من؟ منْ تُقيِّدُ استغراق أفراد النوع، رسول ذُكر أو لم يذُكر.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآءِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّا فَاعْبُدُونَ (٢٥)﴾

[سورة الأنبياء]

"فقوله لا إله إلا أنا هذه العقيدة، وقوله تعالى فاعبدون هذا العمل، أحياناً الإنسان يتوقف إلى التلخيص، وأحياناً يشعر بحاجة إلى التفصيل، فهنا التلخيص، ومعنى هذا أنَّ فحوى دعوى الأنبياء في القرآن الذين لم يذكروا، وفحوى دعوة الرسل جميعاً أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.

الإنسان لماذا يعصي الله؟ هو يعصي الله لنقص في توحيدِه؛ لأنَّه يظنُّ أنَّ في هذه المعصية لذَّةً أو منفعةً، ويغيب عنه أنَّ الله بيده كل شيء، فلماذا يُنافِقُ؟ لنقص في توحيدِه، ولماذا يَخَافُ؟ لنقص في توحيدِه، ولماذا يَقْلُّ؟ لنقص في توحيدِه، لماذا يداهن؟ لنقص في توحيدِه، فما من معصية ولا انحراف ولا تجاوز ولا خوف ولا تنقل ولا قلق ولا وجل إلا لنقص في التوحيد، لذلك الدين كله توحيد، الدين كله أن توافق أنهن لا معطى ولا مانع ولا رافع ولا خافض ولا معز ولا مذل ولا مسعد ولا مشقي ولا مكرم ولا مهين إلا الله، فعلاقتكم مع الله وحده وحده إذا فرأت القرآن أن تستبط الآيات الدالة على التوحيد مريحة جداً وسأليفي، إن كل مشكلة أساسها نقص في التوحيد وإن كل شفاء أساسه نقص في التوحيد، و الدليل قوله تعالى:

﴿فَنَّا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَآ أَخْرَ فَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣)﴾

[سورة الشعراء]

و الإنسان لا يعلم وإذا علم لا ينصف وإذا أنصف ينسى، وإذا علم ولم ينس وأنصف لا يستطيع، لكنَّ الله بيده كل شيء، فكل أجهزتك بيده، قلبك بيده وأعصابك بيده ورزقك بيده و

أموالك بيده و خصومك بيده و الأقوياء بيده و الضعفاء بيده، فأنت حينما تتبعي من غيره العطاء وقعت في خطأ كبير، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ نَّا إِلَهٌ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥)

[سورة الأنبياء]

العقيدة التوحيد و العبادة الطاعة، لذلك قالوا: نهاية العلم يقرأ و يكتب فقط، و التوحيد فوق الشهادات، فوق الليسانس و الماجister و الدكتوراه، و نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل — أنساناً معملاً أرباحه مائة بالمائة — و أعظم عمل "فاعبدون" ، فنهاية العلم التوحيد و نهاية العمل الطاعة، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ نَّا إِلَهٌ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥)

[سورة الأنبياء]

أنت مخلص بقدر ما أنت موحد، و تتمتع بإرادة قوية بقدر ما أنت موحد، تشعر بالطمأنينة بقدر ما أنت موحد و تشعر بالشجاعة بقدر ما أنت موحد، و تشعر بالرضا بقدر ما أنت موحد، ما تعلم العبيد أفضل من التوحيد، و أقول لكم مرة ثانية ؛ أتمنى إذا قرأتم القرآن أن تتفقوا عند آيات التوحيد، قال تعالى:

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هود]

بعد أن طمأنك برجوع الأمر كله له أمرك بالعبادة.

﴿فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

قال تعالى:

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦)

[سورة الكهف]

قال تعالى:

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ﴾ (٦٢)

[سورة الزمر]

قال تعالى:

﴿إِنَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤)

[سورة الأعراف]

و قال تعالى:

﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي﴾ (٥٥)

[سورة هود]

و قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤)

[سورة الزخرف]

و قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ (٢)

[سورة فاطر]

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ يُهِنْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾

[سورة الحج]

كيف نصل إلى التوحيد أساس الإخلاص والاستقامة وأساس الراحة النفسية وأساس الجرأة وأساس الطمأنينة وأساساً للأمن، فكل الميزات المادية والمعنوية موجودة في التوحيد، لذلك شعار الإسلام " لا إله إلا الله " فلا مسيرة في هذا الكون ولا معطي ولا مانع ولا معاذ ولا مذل ولا باسط ولا قابض ولا رافع ولا خافض إلا الله، وهناك مثل رددته مئات المرات، أردت أن ت safar لا بد من تأشيرة خروج ولا يمنحها إلا موظف واحد، وفي الدائرة ألف موظف فهل تبذل ماء وجهك لواحد لا سلطة عنده، هذا حمق، فأمرك بيد الله، لذلك أليها الأخوة، الصلح الصلح مع الله، تعامل مع الله مباشرة وأخلص له وتوخى الأمر وطبقه وابحث عن المعصية وابتعد عنها، ومن اتقى الله هابه كل شيء ومن لم يتقن الله أهابه الله من كل شيء، لذلك التوحيد أساس الإيمان فالإنسان ينافق بقدر نقص توحيده ويعصي بقدر نقص توحيده ويخاف بقدر نقص توحيده، والتوحيد غير الإيمان بوجود الله، هناك فرق كبير، ذلك توحيد الربوبية لا يختلف فيه اثنان في الأرض كلها و حتى الذين يعبدون الأصنام قال تعالى:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾

[سورة الزمر]

البطولة ليست في توحيد الربوبية ولكن في توحيد الألوهية، هو المسير.

الحقيقة بعد ما بين ربنا عز وجل أن التوحيد هو كل شيء ساق بعض الآيات فقال تعالى :
﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَا هُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠)

[سورة الأنبياء]

من شق السماء فأعطت المطر و منشق الأرض فأنبتت الزرع، هذا موضوع التفكير، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهُتَّدُونَ﴾ (٣١)

[سورة الأنبياء]

" هذه الجبال "

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾

[سورة الأنبياء]

فالجبال موزعة توزيعاً بحيث مع الدوران السريع تبقى الأرض مستقرة

﴿وَجَعْلَنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعْلَنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُّلًا لَعَلَّهُمْ يَهُتَّدُونَ﴾ (٣١)

[سورة الأنبياء]

نهر الأمازون كثافته في الثانية ثلاثة ألف متر مكعب، ونبع الفجة ستة وثلاثون ألف أنشاء الثوران.

﴿وَجَعْلَنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾

[سورة الأنبياء]

هذه طبقة الأوزون التي تخللت الان بسبب تغيير خلق الله، هذه المحركات و هذه المعامل وهذا التلوث وارتفاع غاز الفحم في الهواء مقابل ارتفاع الحرارة و ارتفاع الحرارة أثر على نزول المطر.

﴿وَجَعْلَنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾

[سورة الأنبياء]

"وقال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ فِي فَكِ يَسْبُحُونَ﴾ (٣٣)

[سورة الأنبياء]

هذه الآيات إذا فكر فيها الإنسان و دقق و تأمل يصل إلى التوحيد وما تعلم العبيد مثل التوحيد

والحمد لله رب العالمين